هل من نبوّات عن المدينة المقدّسة وديار العرب في أشعيا؟

"من أورشليم (تخرج) كلمة الرّبّ" (أش ٢: ٣)

الأب بيتر مدروس
دكتور في العلوم البيبليّة

تمهيد

ستُقدَّم هنا ثلاث مقاطع من سِفر أشعيا يستطيع المرء أن يقول في اثنين منها ما كتبه عن مطلع الفصل الثاني من سِفر نبيّنا المقدسيّ الكبير الباحث الألمانيّ، أ. أيتسفيلدت (O. Eissfeldt): "إنّ كلمات مِثل أش ٢: ٢–٤ تحمل في ذاتها قيمة وشأنا، مهما كان مصدرها من زمان ومكان"(١). طبعًا، من المفيد جدًّا فحص بيئة النصّ وإطاره التاريخيّ والأدبيّ(٢) – بعد التحليل النقديّ سعيًا إلى الثبوتيّة أوّلاً، ولكنّ ضيق المقام لا يسمح بذلك.

أش ٢: ٢–٥

الجوّ متوتّر والخوف يقطّع رُكَب البشر ومنهم أهل المدينة المقدّسة من جرّاء الحرب السيروافرائيميّة أي بين إمبراطوريّة آرام (وما أشبه اليوم بالأمس... وربّما بالغد!) ومملكة يسرايل(٣).

וְהָיָה ׀ בְּאַחֲרִית הַיָּמִים

حرفيًّا: "ويكون في آخر الأيّام أنّ..." نلحظ الواو "القالبة" (inversive waw) أي التي تقلب زمان الفعل من وقت ماضٍ إلى مستقبل والعكس بالعكس أو من ماضٍ إلى أمر (حسب السياق). بحرفيّة أكثر: "وكان في آخر الأيّام" أي "سيكون". يرى بعضهم

(1) O. Eissfeldt, *Einleitung in das Alte Testament*, dritte Auflage, 1964, p. 428.
(٢) كلّ هذا الإطار معروف بالعبارة الألمانيّة التي تعني حرفيًّا "المقام في الحياة" *(Sitz im Leben)*.
(3) Cf. H. Wildberger, *Jesaja 13-27* (BKAT, X/2), Neukirchen -Vluyn, 1978, p. 88.

شبهًا بين العبارات العبريّة مع العربيّة القديمة "وكان الله عزيزًا حكيمًا" بمعنى الحاضر والمستقبل في المضارع.

ولكن في نقل ثقافيّ (cultural translation) يمكن أن يترك المرء الـ"ترجمة" الحرفيّة ويستهلّ الجملة العربيّة بالفعل القادم: "سيوطّد "بدل" ويكون في الأيّام المقبلة... أن سيُوَطَّد". ويمكن أن نستفيد من هذا النقل الثقافيّ في ترجمتنا لنصوص الإنجيل الطاهر حيث ترد العبارة اليونانيّة "إيجينيتو" (εγενετο)، "وكان أن...". ومن ناحية شعبيّة يطيب لنا أن نحتفظ بهذه الصّيَغ المميّزة وخصوصًا لأنّ حكاياتنا الشعبية تبدأ بالعبارة المحبّبة "كان يا ما كان في قديم الزمان..."

בְּאַחֲרִית הַיָּמִים: لأوّل وهلة ينقل المرء العبارة: "في الأيّام الأخيرة". وهكذا فعلت السّبعينيّة εν εσχεταις ημεραις، ولكنّ هذا النقل – حسب خبراء سِفر أشعيا – لا يراعي عقليّة الفترة التي عاش فيها أشعيا (الأوّل) حيث ما كانت رؤية واضحة – ولا تنبّؤات – عن الفترة الأخيرة(٤). ومن جهة أخرى نجد العبارة ذاتها تشير لا إلى آخر الأيّام، بل إلى المستقبل من غير تحديد، في مواضع كثيرة أخرى من العهد القديم العبريّ، مثلاً: تك ٤٩: ١؛ عد ٢٤: ١٤؛ تث ٤: ٣٠؛ ٣١: ٢٩؛ إر ٢٣: ٢٠؛ ٣٠: ٢٤؛ ٤٨: ٤٧؛ حز ٣٨: ١٦؛ هو ٣: ٥؛ دا ١٠: ١٤. ويرى بعضهم مثل شْرادِر (E. SCHRADER) مقابلاً للعبارة بالمعنى ذاته في الأكّديّة، "إينا آحرات أومي". في المواضع المذكورة تعني "في الأيّام المقبلة"(٥).

ولكن، لا سيّما في النصوص النبويّة، ليس المقصود "مستقبلا" أي أيّ مستقبل من غير معنى أو قصد بل تعني العبارة مستقبلاً هو إنجاز في التاريخ أو إتمام معيّن له ليس الإتمام ولا الإنجاز ولا النّهاية المطلقة ولا الغاية المنشودة(٦). ومع أدمون جاكوب نرى أنّ العبارة تشير إلى "نهايات نسبيّة تسبق النهاية المطلقة التي هي توطيد الملوكيّة

(4) Like O. KAISER, E. JACOB, and H. WILDBERGER, *In der Folge der Tagen*.

(٥) هكذا أوتو كايزر وادمون جاكوب وهانس فيلدبرغر
(Sic O. KAISER, Edmond JACOB, Hans WILDBERGER).

(6) O. KAISER, *Isaiah 1–12* (English version), p. 53.

الإلهيّة"[٧] ولا بأس في أن ندرك تلك "الأيّام المستقبلة" بمعنى إنجازات "لها امتدادات مشيحانيّة"[٨].

قد يكون منطلق الفكرة وثنيًّا: عند الكنعانيّين يجد المرء مفهوم الآلهة ولا سيّما إله الطقس أو المناخ الذي يبقى صامدًا شامخًا أمام عواصف البحر المائج التي تستهدفه بلا طائل[٩].

– ارتفاع جبل بيت الربّ

الارتفاع المقصود هنا ماديّ جغرافيّ طوبوغرافيّ أوّلاً ومعنويّ روحانيّ ثانيًا. وهكذا يكون "جبل الهيكل" المكان السامي المنيف حيث الاتصال الغامض الروحانيّ المعجز بين قصور الله السماويّة والدنيويّة (الأرضيّة)[١٠]. بفضل هذا التقارب الذي هو شبه تلامس، "تصبح المدينة كلّها المقابل الأرضيّ لمدينة الله السّماويّة"[١١].

ومع كلّ هذه الخلفيّة الكنعانيّة القديمة المفروضة، في نهاية المطاف لا يهمّ النبيّ أشعيا ولا يعنيه الارتفاع الماديّ الطوبوغرافيّ الذي "لا يلعب أيّ دور"[١٢]، بحيث أنّ علوّ المكان لا يؤثّر على المكانيّة المعنويّة.

– "وتجري إليه شعوب كثيرة"

يمكن إدراك لفظة "رَبِّيمْ" (كثيرين) إمّا بالمعنى الشامل أي كلّ الشعوب – ولعلّ الكلمة تشبه الآراميّة "ساجِيَا" (שגיא)،واليونانيّة "بُولُّويْ" (πολλοι) التي تعني "الكلّ"

(7) E. Jacob, *Esaïe*, p. 56: « L'accomplissement est l'instauration de la royauté divine – fin absolue, précédée par des fins relatives ».
(8) « Accomplissements avec des prolongements messianiques » (E. Jacob, *op. cit.*, p. 55).
(9) B.L. Van de Waerden, "Das grosse Jahr und die ewige Widerkehr", *Hermes* 80 (1952) 129ff, especially 187ff.
(10) Cf. M. Metzger, "Himmlische und irdische Wohnstadt Jahwehs", *UF* 2 (1970) 139ff.
(11) Cf. O. Kaiser, *op. cit.*, p. 54.
(12) Cf. H. Wildberger, *op. cit.*, p. 83.

(عن مت ٢٦: ٢٦ي) – أو المعنى غير الشموليّ[١٣]. هنا المعنى أن تأتي كلّ الشعوب إلى أورشليم.

الفعل العبريّ هو נָהַרוּ (نَهَرْ) الذي يعني لأوّل وهلة "جرى" (مي ٤: ١؛ إر ٥١: ٤٤؛ مز ٤٦: ٥؛ ٦٥: ١٠؛ أش ٣٣: ٢١)، أو "انساب" مثل النّهر[١٤]، ولكن إ. جاكوب[١٥] يفضّل أن يربط الفعل بـ נָהָרָא נָהַר נוּר (مثل العربيّة "نهار") بمعنى الإشعاع فرحًا، كما في أش ٦٠: ٥؛ إر ٣١: ١٢؛ مز ٣٤: ٦.

ماذا يجيء بالأمم إلى المدينة المقدّسة عند العبرانيّين ؟ قد نجد الجواب في أنّ الوثنيّين – على علاّتهم وربّما بسبب إدراكهم لعلاّت معبوداتهم ونقائضها ومنكراتها – كانوا يفهمون "لغة الله عن طريق الطبيعة حيث يبيّن تعالى ألوهته"[١٦] في هذه الحالة، بحِسّ دينيّ معيّن وذوق سليم رأوا المنطق والحكمة في فكرة الإله الواحد القدّوس (أش ٦) خالق الكون أو الأكوان. فما باتوا "حمقى من طبعهم" (حك ١٣: ١ي) كما فضح العديدَ منهم سِفر الحكمة وكما سيصفهم لاحقًا بالغباوة رسول الأمم الإناء المختار بولس (رو ١: ١٨ي). وتفسير آخر لظاهرة توجّه الوثنيّين إلى معبد يهوديّ هو اتّباعهم لعادة قديمة تقضي بالتوجّه إلى معبود ما بحثًا عن تعليمات في كلّ الشؤون المصيريّة في الحياة[١٧].

ومع إ. جاكوب[١٨]، نستعرض أو نلخّص الدواعي لصعود الوثنيّين إلى المدينة المقدّسة: أمّا للهجوم (أش ٨: ٨– ١٠؛ ١٧: ١٢–١٤) أي العدوان (فاليهود دومًا مظلومون مهاجَمون ولا حيلة لهم سوى "الدفاع" عن أنفسهم، أو حِجّ الدخلاء أي

(13) Cf. J. JEREMIAS, *TDNT* 6, 536ff, especially 537.
(14) "Affluer" in French, "to stream" in English, and "stroemen" in German.
(15) *Op. cit.*, p. 56.
(16) Cf. O. KAISER, *op. cit*., p. 54.
(17) Cf. H. W. PARKE, *The Oracles of Zeus, Dodona, Anitron, Olympia*, Oxford 1967, 253ff; also G. ROUX, *Delphi: Orakel und Kultstaetten*, Muenchen 1971, 71ff; also O. KAISER, "Das Orakel als Mittel der Rechtsfindung im alten AEgypten", *ZRGG* 10 (1958) 193ff.
(18) O. KAISER, *op. cit*., p. 56.

المهتدين من الوثنيّين إلى "إله إسرائيل"، مثلا: مز ٤٧: ١٠؛ أش ٦٠–٦٢؛ ٦٦: ١٨–١٩.

في هذا المقطع – أش ٢ – من الأكيد أنّ الوثنيّين القادمين كانوا يبحثون عن تعليم (وهذا هو المعنى الأصليّ للفظة "توراة" (תּוֹרָה) – وفعلا معلّم هو "موريه" (מוֹרֶה) – لأهداف سياسيّة – ونزيد هنا إنسانيّة – أي وقف التسلّح وتوطيد السلام.

يرى جاكوب[١٩] تلاعبًا بالألفظ بين "تُورَهْ" و"يِرُوشَلَيِمْ" (תּוֹרָה יְרוּשָׁלִָם)، أي "تعليم" و"تعليم أو رؤية سلام". ويستبعد أن تشير لفظتا "طُرُق" و"سُبُل" ((דֶּרֶךְ אֹרַח إلى المفهوم أو الاتّجاه الحكميّ الذي نجده في سفر الأمثال، على سبيل المثال. ولكن هذه النظريّة غير مقنعة بما أنّ الوثنيّين يطلبون حكمة في الحياة وحنكة وحذقًا تضع للحروب حدّا.

والإله الواحد المشرّع في "التّوراة" يحكم بأحكامها: فهو تعالى "يحكم" و"يثبت" أو "يُفحم" (الفعلان הוֹכִיחַ שָׁפַט). ولا غرابة، ففي أورشليم "نُصِبت عروش أو كراسي القضاء" (مز ١٢٢: ٢)، والله يهوه هو الحَكَم والقاضي عند أشعيا: للفلستيّين (١٤: ٢٨) والنّوبيّين (١٨: ١) والمصريّين الذين ستضيّعهم سياستهم غير الرّشيدة وتجعلهم ترتعد فرائصهم أمام يهوذا (ف ١٩).

هنا، يعلن النبيّ هذا الحُكم الإلهيّ بصفته نذير للملك المشيحانيّ (الداوووديّ) الآتي الذي سيكون – وهو – ملك القاضي والدّيّان[٢٠] والصدّيق العادل الكامل (أش ١١)، فلا حرب في عهده ولا سلاح من بعد.

ليس من الخبث أن يعلّق المرء هنا ملاحظًا أنّ الكيان العبريّ الحديث تألّق بأعلى نسبة حروب في غضون وجوده المستقلّ منذ نحو ستّين سنة. وأنّه مع تلفّظه المستمرّ بكلمة "شَلُمْ"، غير أنّه لا يحترم أيّ مواثيق دوليّة... ومن سخريّة القدَر أن تعلّم "الأمم المتّحدة" قوم أشعيا والنبيّ الباكي إرميا أصول العدل وأسس السلام، ولا عجب فقد أبصرت "جميع أقاصي الأرض خلاص إلهنا" المتجسّد، وحتّى الشّعوب غير المسيحيّة

(19) *Op. cit.*, p. 57.
(20) *Op. cit.*, *Ibid.*

تأثّرت في إعلانها لحقوق الإنسان بتعاليم المعلّم الإلهيّ وهُدى الإنجيل الطّاهر![٢١]

"الأمم" (جوييم גּוֹיִם)، و"الشعوب" (عَمِّيمْ، עַמִּים) – بين اللّفظتَين توازٍ مترادف Synonymic parallelism في أش ٢: ٤؛ ١٠: ٦؛ ١٨: ٢؛ ٣٠: ٢٨، ستقول:

– "هيّا نصعد جبل الربّ (يهوه)" ! (٢ ٣أ)

هنا يقتدي الأمميّون – ولو بغير علم منهم – بالعبرانيّين الباحثين عن التعليم (مز ٢٧: ١١؛ ٨٦: ١١)[٢٢] ومز ١٢٢: ٤[٢٣]. وكان قوم –بما فيهم الملوك– يحجّون إلى الهيكل لاستشارة الله (١ صم ٩: ٩). ويعرف التاريخ الوثنيّ أمثلة على ذلك: فالرومان توجّهوا بقانونهم ذي الاثنتي عشرة لوحة إلى معبد "ديلفي" الإغريقيّ، في سعيهم إلى صياغة حقّ دوليّ في زمن الحروب[٢٤] ويروي المؤرّخ اليونانيّ الكبير هيرودوتس (المجلّد الأوّل، ص ٥٣–٥٩) استمطار "كريزيوس" وحيًا من نبيّة Pythie[٢٥].

يبدو أنّ فيلدبرغر[٢٦] يخلط بين جبل صيّون وجبل موريا إذ يكتب أنّ "الهيكل قام على جبل صيّون". ولكن نستطيع أن نقول نحن المسيحيّين، ولو أنّ العهد الجديد لا يستشهد بهذا المقطع، أن نرى في "جبل صيّون" العلّيّة المقدّسة التي منها خرجت شريعة المحبّة (أفضل من محبّة الشريعة) والتي فيها حلّ روح الله على العذراء والنسوة والرسل الأطهار والتلاميذ الأبرار (مت ٢٦: ٢٦ي؛ أع ٢: ١ي). ومعلوم أنّ شريعة الله

---

(٢١) كان يحلو لقدس الأب الراحل لويس خليفة مؤسّس مجلّة بيبليا أن يقول: "أتى الشرق بالأديان والغرب بحقوق الإنسان، ففي الشرق يضحّون بالإنسان على مذبح الإديان وفي الغرب يضحّون بالأديان على مذبح حقوق الإنسان". وفي الواقع لا يأتي احترام حقوق الإنسان إلاّ من السيّد المسيح و"العهد الجديد" والكنيسة، وما شعار الثورة الفرنسيّة "حرّيّة – مساواة–أخوّة إلا صادر عن المعلّم المسيح والإنجيل المقدّس، وحتّى العلمانيّة أي فصل الدين عن الدّولة فهو موجود في مبدأ الربّ يسوع: "أدّوا ما لقيصرلقيصر وما لله لله".

(22) Cf. O. KAISER, *op. cit.*, p. 54.

(٢٣) في أيّامنا يستخدم اليهود فعل "عالاه" עלה لوصف هجرتهم إلى فلسطين، ومغادرتهم لها أو هجرتهم منها "نزولا" יְרִידָה.

(24) Cf. H. WILDBERGER, *op. cit.*, p. 84.

(25) Quoted by WILDBERGER, *ibid.*

(26) *Op. cit.*, p. 82.

على يد موسى أتت في شبه جزيرة سيناء. فالمسيحيّة هي الشريعة الوحيدة التي صدرت من المدينة المقدّسة عاصمة إيماننا وعروس عروبتنا.

כִּי מִצִּיּוֹן תֵּצֵא: "لأنّ من صِيُّون تخرج الشّريعة، وكلمة الله من أورشَليم". المقصود – حسب كايزر[٢٧] – شريعة الله المكتوبة (كما في خر ٢٠: ١ (خصوصًا الوصايا)، ٢٤: ٣؛ ٣٤: ١ي، بحيث أنّ كلّ الشعوب (الوثنيّة) "تدخل في ثيوقراطيّة أورشاليم"، ونزع السلاح سيكون خير دليل على قبول الأمم لسلطة الله الربّ.

المدينة المقدّسة مركز الأرض (عن حز ٣٨: ١٢، قض ٩: ٣٧، أي ٨: ١٩). نعم – ستبقى خلافات بين الأمم ولكنّهم سيحلّونها بالتفاهم لا بالنّزاع المسلّح أي لا للعنف![٢٨]

– "**سيضربون سيوفهم سِككا ورماحهم مناجل**" (**٤ب**)، عدا أن يكونوا قد احتكموا لقضاء الله في نزاعات وخلافات عمليّة واقعيّة[٢٩] تحوّل الأمم أسلحتها الفتّاكة القاتلة إلى أدوات سلام في الرخاء والازدهار الزراعيّ الذي يرجوه كلّ مزارع أو فلاّح والمتلخّص بقعود كلّ منهم تحت جفنته (أي كرمته) وتينته (مي ٤: ٤).

يكتب فيترينجا[٣٠]: "الأمم التي ستقبل تعليم المَسِيَح ستتخلّى عن العداوة والبغضاء السابقة وتوطّد بينها السلام والصداقة والأخوّة. فالإيمان بالإله الواحد والاطمئنان إليه تعالى يجلب نزع السّلاح الذي كانت الشعوب تستند إليه وتركن"[٣١].

هذا هو "ملكوت الله"[٣٢]! يظهر أنّ الباحث أو. كايزر استسلم لعدم إمكانيّة تحقيق النبوّة الأشعيّة والميخاويّة في الشعب العبريّ أو بعده، فاكتفى بأنّ لا حاجة لارتفاع المدينة المقدّسة ولا هيكلها (خصوصًا بعد دماره حتّى اليوم) بل حَسبنا أنّ الله لا يريد هيكلاً منظورًا أو محدّدًا للعبادة[٣٣] بل في كلّ مكان "بالروح والحقّ" (رج يو ٤: ١٩ي؛ عب ١٣: ١٤).

(27) *Op. cit.*, p. 55.
(28) Cf. H. WILDBERGER, *op. cit.*, p. 89.
(29) Cf. H. WILDBERGER, *op. cit.*, p. 85.
(30) Quoted by Ed. JACOB, *op. cit.*, p. 58.
(31) Ed. JACOB, *op. cit.*, ibid.
(32) Cf. H. WILDBERGER, *op. cit.*, p. 90.
(33) *Op. cit.*, p. 56.

– ٥ أ: " يا بيت يعقوب، هلمّوا نسير في نور الربّ!"

فجأة يخاطب النبيّ بني إسرائيل بلقب نادر نسبيًّا "بيت يعقوب" (٢١ مرّة في العهد القديم العبريّ، منها ٩ في أشعيا). التّسمية اجتماعيّة ودينيّة أكثر منها سياسيّة بخلاف اسم "إسرائيل" الذي يجده المرء في الحوليّات الأشوريّة[٣٤]، وكأنّه نسي "الأمم والشعوب". ولكن يبدو أنّ هذه إضافة طقسيّة. الربّ نفسه هو نور، بل النور، ويضيء بنور وجهه[٣٥] أي نعمته (رج مز ٨٩: ١٦). الله الربّ هو "النور الذي يظهر للمستقيم" بما فيها الشعوب الوثنيّة الجانحة إلى السّلم (مز ٩٧: ١؛ مز ٢٧: ١؛ ٥٦: ١٤؛ مي ٨:٧).

الربّ يسوع هو "نور العالم" وطلب منّا أن نكون نحن أيضًا "نور الدنيا" (رج مت ٥: ١٣) وهو في نفس الوقت "ملك السلام المتعظّم الذي (نرجو) أن تشتهي الأرض كلّها رؤية وجهه"[٣٦]– الملك الأزليّ الخالد الذي رمزَ إليه ملكيصادق – ملك العدالة والبِرّ الذي كان أيضًا "ملك شَلِيمْ"!

– أش ٢١: ١٣ي

מַשָּׂא בַּעְרָב: اللفظة العبريّة "مَسَّا" من فِعل "نَسَّا" (נְשָׂא) تعني أصلاً "حِمْل، عبء"، وبالاشتقاق تُصبح قولاً أو كلامًا أو خطابًا نبويًّا (في أشعيا مثلاً) عن قوم أو موضع[٣٧]. يلحظ فيلدبرغر[٣٨] أنّ كلمة "ماسا" متبوعة بالحرف "باء" ما عنت قَطّ "عن" أي "في شأن"[٣٩]. وممكن أن تعني "على" بمعنى العداوة (في العامّيّة "ضدّ")[٤٠].

---

(34) Cf. Ed. JACOB, *op. cit*., p. 58.

(35) Cf. O. KAISER, *op. cit*., p. 56.

(٣٦) من صلاة الغروب عشيّة عيد الميلاد المجيد:
"Rex pacificus magnificatus est, cujus vultum desiderat universa terra".

(37) Cf. H. WILDBERGER, *op. cit*., II, p. 763: "*Auspruch*".

(38) De, De sanctitate, "*De consideration*", "*de peccato*".

(٣٩) في الموضع نفس، بخلاف العربيّة، حيث تعني عبارة "في الِفقه" أي في موضوع الفقه، ولعلّ التّعبير العربيّ يقابل اللاتينيّة.

(٤٠) كما في زك ٩: ١.

في بعض الترجمات العربيّة – مثلا فاندايك – يقرأ المرء: "وحي في بلاد العرب". لو فرض القارىء جدلاً أنّ أشعيا يتنبّأ عن وحي مستقبل في بلاد العرب، فما من شيء في النصّ "يوحي" بذلك. لا يُعطي أشعيا أيّ تفصيل عن ذلك "الوحي" المتمنّى ولا ذِكر ولا تلميح لنبيّ ينزل عليه ذلك الوحي ولا تلميح إليه لا من قريب ولا من بعيد. فالوحي موجّه إلى أشعيا – كما هي الحال في كلّ الأماكن الأخرى من السِفر (الفصل العاشر وتابع) – حيث بدأت "الأعباء" أو "الأقوال" عن الوثنيّين[٤١].

وكما يقول المثل الدّارج "حكي القرايا ما بيجيش على حكي السّرايا": أقوال الأمّيين لا توافق أقوال العلماء. فالأمّيّون – ومنهم قوم "لا يعرفون الكتاب إلاّ أماني" – مثل الغارق الذي يتعلّق بقشّة – ينطلقون من كلمة أو حرف من غير تدقيق، من جهة، ومن غير النظر في السياق، ناهيكم عن جهلهم للألسنة الأصليّة وتاريخ العالم القديم وجغرافيّته. وليس عيبًا على الإنسان أن يجهل بل أن يبقى في جهله وقد توانى عن البحث.

علميًّا ونقديًّا: **اللفظتان "مَسَّا بَعَرْبْ"** (**מַשָּׂא בַּעֲרָב**) غائبتان عن مخطوطات كثيرة من السبعينيّة. وفي مخطوطات أخرى تنقلهما السبعينيّة بـ "إسْبِرَا" (εσπερα)، أي "في الغروب – "عِرِبْ" لا "عَرَبْ" – أو "في المساء". ويقرأ عدد من العلماء أحرف **ערב** كصيغة ختاميّة مختصرة لكلمة "عَرَبَهْ" (**ערבה**)، أي "حصراء، بيداء"[٤٢]، كما يُعتَقَد أنّ الوضع مشابه في إر ٢٥: ٢٤. ولا نكون قد أبعدنا كثيرًا، لأنّ لفظة "عرب" لو أتت من العبريّة تعني "سكّان العاراباه أي الصّحراء" كقولك أنّ "البدو" أهل البادية والبداوة.

من ناحية المعنى – بعد أن أثير موضوع المبنى – يجد المرء في هذا الموضع وضعًا غريبًا فيه نوع من التعاطف مع الوثنيّين الملمّح إليهم والمذكورين بالاسم (مثل الديدانيّين)[٤٣]، بخلاف الـ"أعباء" أو "الأقوال" أو "الوحي" عن كلّ الوثنيّين الآخرين (مؤاب، بابل، اشور، مصر...) حيث ينذرون بالويلات. ولو أصرّ قوم أن يروا في نصّ أشعيا هذا "وحيًا" عربيًّا بسبب ذِكر لفظة "ع ر ب"، فيجب أن يفرض المرء أو أن يقبل

(41) Oracles sur ou contre les nations.
(42) Sic O. KAISER, *op. cit*., p. 133; H. WILDBERGER, p. 763.
(43) Cf. WILDBERGER, *op. cit*., p. 799.

على هذا المعدّل وحيًا لكلّ شعب أو مكان أو قبيلة مذكورين في أش ١٠ي – أو حتّى في كلّ عشيرة أو قبيلة. وهذا مرفوض في اليهوديّة والمسيحيّة، أهل الكتاب، في حين يقبل الإسلام أنّ الله "جعل لكلّ أمّة نبيًّا" أو أنبياء.

ينطلق فيلدبرغر وسواه من غياب عبارة "ماسا بعاراب " ومن وجود حرف "الباء" ليؤكّدوا أنّها زائدة – كما عدّتها عدّة مخطوطات من السبعينيّة.

يدعو الكاتب الملهم قوافل الـ"ديدانيّين" (ترد فقط هنا[٤٤]) في حين أنّ الصيغة الاعتياديّة هي "ديدان" لاسم القبيلة) أن يبيتوا في الـ"יער". ولكن المعنى المألوف "غابة" غير وارد بسبب طبيعة تضاريس بلاد العرب الصحراويّة بل يجب – على ما يبدو – ربط اللفظة العبريّة "ياعار" بالعربيّة "وعر" لغرض الهرب (كما في إر ٤٨: ٦–٨) أمام عدوّ غير محدّد[٤٥]. القوافل آتية من الخليج العربيّ[٤٦] ومتّجهة شمالاً[٤٧]. يمكن أن يدرك المرء سوء أحوال العرب – والعبرانيّين – في رزوحهم تحت نير الأمبراطوريّة الأشوريّة الجديدة والبابليّة الجديدة[٤٨]. أرض "ديدان" – التي عُرفت أيضًا بهذا الاسم في القرون الوسطى – تُسمّى في أيّامنا "العُلى، العلاء". وتقع حسب كتابات حِميريّة شمال الحجاز "على طريق البخور" بين المدينة (يثرب) و"تِمنا". وحسب العهد القديم، كان "الديدانيّون" سكّان مدينة "تِمنا" وتجّارا رحّالة (حز ١٧: ٢٠؛ ٣٨: ١٣؛ أي ٦: ١٩). أمّا "تيما" فهي "تيماء" الحاليّة. وتقع على بعد ١٣٠ كيلومتر هوائيّ شمال غرب ديدان. وما كان مستغربًا هجوم العدى على قوافل التجّار (حز ٢٧: ٢٠؛ ٣٨: ١٣، أي ٦: ١٩). وهكذا يُفهَم أنّ العدوان لا على أرض قبيلة ديدان بل على قوافلها التجاريّة المتنقّلة.

أيّ عدوّ يلاحق قوافل الديدانيّين؟ يستعرض فيلدبرغر بعض الآراء، مثلاً، مارتي (MARTI) يرى أنّ لمهاجم الملاحق المطارد هو الفيالق الفارسيّة بعد سقوط بابل،

(44) Id., *op. cit*., p. 797.
(45) Id. *Ibid*.; or: soil covered with macchia; O. KAISER, *op. cit.*, "off the track".
(46) Cf. O. KAISER, p. 174.
(47) Id., *op. cit*., p. 134.
(48) Cf. WILDBERGER, *op. cit*., p. 799.

بما أنّ ديدان كانت واحة مزدهرة – وذلك في عهد الأخيمندايّين[٤٩]. ويعتقد جالينج (GALLING) أنّ الزمن المشار إليه هو الحقبة التالية لسنة ٥٤٥ ق. م.، حيث هاجم نابونيدس قوافل تيماء[٥٠]. ويظنّ آخرون أنّ العدوّ المطارد الطمّاع من القبائل العربيّة نفسها – "منها وفيها". ويربط آخرون التلمحيات بمُلك حزقيّا قبل غزو سنحاريب، بحيث أنّ الهجوم كان يقع على الطريق إلى اليهوديّة أو في طريق العودة من مصر أو عندما أرسل نبوخدنصّر نبوزردان لقمع ثورة قبائل عربيّة...

قيدار: نهاية المجد!

قيدار قبيلة عربيّة مذكورة في تك ٢٥: ١٣ي، مع "دوما" و"تيماء"، كجزء من نسل إسماعيل (١ أخ ١: ٢٠). ويبدو أنّ أوّل ذِكر لقيدار ورد في إر ٢: ١٠. أمّا في أش ٤٢: ١١ فإنّ قيدار تشهد مجد الربّ يهوه. وأش ٦٠: ٧ يذكر تقدمات قيدار على جبل صيّون. وبعد ذلك يرد أنّ قوم سبأ سيقدّمون الذّهب والبخور.

ويجد المرء اسم "ق د ر" في منقوشات حِميريّة ويشار إلى أنّ القبيلة المذكورة أضنت إمبراطوريّة آشور بالقلاقل. وتوصّلت قيدر إلى بناء دولة في زمن الفرس[٥١]، وتلمّح منقوشات آراميّة من القرن الخامس قبل الميلاد – على بُعد ١١ كيلومترا من الإسماعيليّة – إلى ملك من قيدر حاملة على الاعتقاد بامتداد مُلك قيدار حتّى دلتا النيل[٥٢]. أمّا المؤرّخ الرّومانيّ إبلينيوس الكبير ("التاريخ الطبيعيّ"، ٥، ١١) فهو يعرف قيدار جارة للأنباط.

من جلب على قيدار الهزيمة؟ يظهر أنّ الأمر لا يعني كاتبنا الملهم. وليس مرجّحًا أن تكون أتت نهاية قيدار على يد اليهود فالمسافة الهوائيّة بين المقاطعتين لا تقلّ عن ٦٥٠ كيلومترا.

بعد سنة – أو ثلاث سنوات – فترة "أجير" ينقضي مجد قيدار. ولعلّ الرسالة موجّهة

(49) *Ibid*., p. 801.
(50) *Ibid*.
(51) Cf. O. KAISER, *op. cit*., p. 135.
(52) Cf. WILDBERGER, *op. cit*., p. 801.

إلى الشعب العبريّ ليجعل على الله اتّكاله ولا يركن إلى أيّة قوّة سياسيّة أو عسكريّة أو اقتصاديّة مثل قيدار[٥٣]. فالله وحده هو ربّ المجد (أش ٦).

يكتب كايزر[٥٤] عن كاهنة من عشيرة قيدار دفعت الجزية عن قبيلتها لتغلات فالاسر سنة ٧٣٨ ق. م. وقد أجبرت تيماء أيضًا على الجزية له في نهاية الحرب مع آشور وإفرائيم[٥٥]. أمّا سرجون الثاني فقد قام سنة ٧١٥ ق. م. بحملة على القبائل العربيّة بين خليج العرب وتيماء. سنة ٧٠٣ ق. م اشترك العرب في ثورة على آشور أثارها مروداخ بلادان ولكن سنحاريب هزمهم وهزم العبرانيّين أيضًا. سنة ٦٨١ ق. م قمع سنحاريب ثورة قيدار. ولاحقًا عندما اندلعت ثورة على أشوربانيبال هاجمت قيدار جيوشه بين حماة وآدوم ولكنها هُزمت. وبعد موت أشوربانيبال نعمت قيدار باستقلال قصير الأمد. سنة ٥٨٩ ق. م. هاجم نبوخدنصّر قبائل عربيّة منها قيدار (إر ٤٩: ٢٨). وأصبحت خاضعة له سنة ٥٨٠ ق. م. ونقل آخر أباطرة بابل الجديدة مقرّه إلى تيماء لمدّة عشر سنين.

الخلاصة، تهديد إسكاتولوجيّ من أعداء غير محدّدين قادمين من الشمال[٥٦].

– أش ٧ "بيتي بيت صلاة لجميع الأمم"

هذه النبوّة تشبه **أش ٢ "إنّ جميع الأمم تصعد إلى جبل الربّ"** بحيث أنّ لا تحقيق لأيّ من هذين النصّين في اليهوديّة بل في المسيح والعلّيّة والمسيحيّة.

(53) *Ibid*.
(54) *Op. cit*., p. 134.
(55) Cf. A. Groehmann, *Kulturgeschichte des Alten Orients*, Arabien, HAW III, 1, pp. 42 ff.
(56) Cf. O. Kaiser, *op. cit*., p. 135.

المراجع

Eissfeldt O., *Einleitung in das Alte Testament*, dritte Auflage, 1964, p. 428.

Groehmann A., *Kulturgeschichte des Alten Orients*, Arabien, HAW III, 1, pp. 42 ff.

Jacob Edmond, *Esaïe 1-12, Commentaire de l'Ancien Testament*, Villa, éd. Labor et Fides, Genève, 1987.

Jeremias J., *TDNT* 6, 536 ff, especially 537.

Kaiser O., "Das Orakel als Mittel der Rechtsfindung im alten AEgypten", *ZRGG* 10 (1958) 193ff.

___, *Isaiah 1–12* (English version). A commentary / Otto Kaiser; [translated from the German by R. A. Wilson], London : S.C.M. Press, 1972.

Kaiser O., E. Jacob, and H. WILDBERGER, *In der Folge der Tagen*...

Metzger M., *Himmlische und irdische Wohnstadt Jahwehs*, UF 2, 1970, 139 ff.

Parke H. W., *The Oracles of Zeus, Dodona, Anitron, Olympia*, Oxford 1967, 253 ff.

Roux G., *Delphi: Orakel und Kultstaetten*, Muenchen 1971.

Waerden B.L. Van de, "Das grosse Jahr und die ewige Widerkehr", *Hermes* 80 (1952) 129ff, especially 187ff.

Wildberger H., *Jesaja 13-27* (BKAT, X/2), Neukirchen -Vluyn, 1978.